الفصل التمهيدي

جذور الجبهة

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

ترتبط انطلاقة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بحركة القوميين العرب، وتنظيمها الفلسطيني، وتجربتها النضالية منذ النكبة عام ١٩٤٨م، وبالدروس التي اكتسبتها من تلك التجربة التي قادت منذ بداية الستينيات إلى الإعداد ببدء الكفاح المسلح وممارسة النشاط العسكري[١].

وقد تعرض الشعب الفلسطيني بعد النكبة لعملية محو منهجية استهدفت إنهاء وجوده الوطني المستقل بعد تجزئة وطنه ما بين الحركة الصهيونية والهاشمية في شرق الأردن. أما خارج حدود المملكة الأردنية الهاشمية، فقد تحول الشعب إلى مجموعات من اللاجئين[٢]، فقدوا مؤسساتهم السياسية، حيث لم يحملوا معهم إلى المهجر أحزابهم ومنظماتهم التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني، وكان استمرار الهيئة العربية العليا لفلسطين- والتي كانت تطرح نفسها ممثلة شرعية للشعب الفلسطيني- لا يعني أن هذه الهيئة لها صلة بالجماهير الفلسطينية أو بحركة الشعب الفلسطيني، وظل وجودها هامشياً غير ذي تأثير[٣]، وكذلك حكومة فلسطين التي أنشأتها الهيئة، والتي كانت تمثل فلسطين في جامعة الدول العربية تمثيلاً رمزياً.

ومع أن جامعة الدول العربية قد اعترفت بحكومة فلسطين اسمياً، فإنها لم تدع إلى حضور أي اجتماعات لاحقة لمجلس وزراء الجامعة أو لهيئاتها الأخرى، وذلك

(١) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، محطات أساسية في مسيرة تطور الجبهة الشعبية، دار الشعلة، بيروت، ١٩٨٩م، ص٣. انظر أيضاً هيلينا كوبان: المنظمة تحت المجهر، ترجمة سليمان الفرزلي، هاي لايت للنشر، ط١، لندن، ١٩٨٤م، ص٢١٨

(٢) صلاح العقاد: فلسطين والوطن العربي بين الماضي والحاضر، السياسة الدولية (القاهرة)، السنة (١١) العدد ٤٢، أكتوبر ١٩٧٥، ص٢٨- ٣٣.

(٣) سامي يوسف أحمد: حركة القوميين العرب والقضية الفلسطينية، ١٩٤٩- ١٩٦٧م، العربي للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة ٢٠٠٣م، ص٤٨.

على الرغم من احتجاجها المتكرر على عدم دعوتها إلى الحضور[1].

وجاء نفي الحاج أمين الحسيني، وأعضاء الهيئة العربية العليا، وأحمد حلمي عبد الباقي، ووزراء حكومة عموم فلسطين من الأراضي المتبقية من فلسطين ليثبت أفول نجم اللجنة القديمة، ويزيل من الوجود آخر الهيئات الوطنية ذات الشأن[2].

وكانت السياسة العربية تجاه الهيئة العربية العليا وحكومة عموم فلسطين نتيجة رغبة عامة لدى الدول العربية حيث تعمل على تجنب التورط في أي نزاع جديد مع إسرائيل[3]. وخاصة بعد انتهاء الحرب وتوقيع الهدنة[4].

فقد وقعت مصر اتفاقية الهدنة مع إسرائيل في رودس، بتاريخ ٢٤ شباط، فبراير ١٩٤٩، ثم لبنان، في آذار مارس، والأردن في نيسان/ إبريل، وانتهاءً بسوريا في تموز/ يوليو من العام نفسه مع الوفود العربية والإسرائيلية برعاية الأمم المتحدة في جزيرة رودس.

وقد لازم هذه العواقب السلبية التي أسفرت عنها النكبة اشتداد تيار القومية العربية، وتصاعده، وقد أطلق رمز النكبة على ما حدث بفلسطين عام ١٩٤٨م وهو تعبير يصف هزيمة الشعب الفلسطيني، ومن ورائه الشعب العربي.

---

(١) يزيد صايغ: **الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، الحركة الوطنية الفلسطينية**، ترجمة باسم سرحان، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، بيروت، ٢٠٠٢، ص١١٥. انظر أيضاً: أحمد صادق سعد، وعبد القادر ياسين: **الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٤٨ - ١٩٧٠م**، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ط١، بيروت، ١٩٧٥م، ص٦٥.

(٢) يزيد صايغ: الكفاح المسلح...، مرجع سبق ذكره، ٢٠٠٢، ص٨٣.

(٣) المرجع نفسه، ص١١٥.

(٤) هاني الهندي وعبد الإله نصراوي: **حركة القوميين العرب، نشأتها وتطورها عبر وثائقها ١٩٥١-١٩٦٨م**، الكتاب الأول، الجزء الثاني، ط١، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ٢٠٠٢، ص٨٠٤.

وقد كانت الهزيمة وما تبعها من إذلال نقطة تحول في التفكير القومي[1]. فجاء رد الفعل الحقيقي للنكبة شعبياً قبل أن يأتي رسمياً، فعقب توقف الحرب عبَّر الشعب العربي بمختلف طبقاته عن استيائه من حكوماته بالإضراب والمظاهرات، في حملة ضغط شعبي على هذه الحكومات؛ كي تواجه إسرائيل، وتدعم نضال الشعب الفلسطيني، لاسترداد حقوقه. وهذا الوضع قد ولّد إحراجات كبيرة للأنظمة العربية، وساد التوتر فى جميع أرجاء الوطن العربي[2].

وقد لعب الطلاب دوراً نشطاً ومهماً في الحياة السياسية العربية فى تلك السنوات وامتلكوا هامشاً كبيراً من حرية الحركة، والقول، والتنظيم. لذا كان الطلاب يملأون شوارع المدن العربية بمظاهراتهم، ويعلنون معارضتهم للمسيرة العامة التي انتهجتها الحكومات العربية كما نادوا بنصرة شعب فلسطين، ودعمه في كفاحه، وطالبوا بفتح المعسكرات لتدريب المتطوعين الراغبين في القتال في فلسطين، وتعبئة طاقات البلاد[3].

وأخذ الشباب العربي الغاضب- وخاصة في أوساط اللاجئين الفلسطينيين الذين طردوا من ديارهم - في البحث عن بوادر تغيير في البلدان العربية، فقد تأثر العمل السياسي الفلسطيني بجملة من العوامل منها: التشتت الجغرافي للشعب

(١) خيرية قاسمية: **الفلسطينيون في الوطن العربي، الأوضاع السياسية للفلسطينيين في البلاد العربية**، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٤٥٩.

(٢) نجلاء أبو العز: **عبد الناصر والعرب منجزاته السياسية والعسكرية والاقتصادية**، (ترجمة يوسف سعيد الصباغ)، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ١٩٨١م، ص٣٧٤، وانظر أيضاً: محمد نصر مهنا: **مشكلة فلسطين أمام الرأي العام العالمي ١٩٤٥ - ١٩٦٧م**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٢٨٩، وانظر كذلك: عبد الرحمن الرافعي: **ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، تاريخنا القومي في سبع سنوات ١٩٥٢ - ١٩٥٩م**، دار المعارف، ط٢، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٢٦.

(٣) الهندي نصراوي: مرجع سابق، ص٣٨٠.

الفلسطيني في أكثر من قطر؛ نتيجة الهجرة التي أحدثتها النكبة، والانشغال بلقمة العيش في البلاد التي لجأوا إليها، والتي لم يكن كثير منها يتيح حرية التحرك السياسي الفلسطيني، فضلاً عن غياب المؤسسات الفلسطينية القادرة على التنظيم والإدارة[1].

ورغم ذلك بدأت رحلة جديدة من المقاومة حيث خاض فيها الفلسطينيون المعارك الدامية من أجل الحفاظ على كيانهم، وانتزاع حريتهم في العمل والحركة[2].

وظهر في أوساط التجمعات الفلسطينية المشتتة مجموعات سرية كثيرة، وكان الأكثر نفوذاً بينها كل من حركة القوميين العرب، وحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)، وقدر لفتح أن تتولى قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، وقيادة الحركة الفدائية في أواخر الستينيات، بينما نشأ عن حركة القوميين العرب التنظيم المنافس لفتح وهو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

وقد تبلورت فكرة تأسيس حركة القوميين العرب سنة ١٩٥١م، على يد مجموعة من طلاب الجامعة الأمريكية في بيروت، وكان المحرك الأساسي لهذا التجمع كل من طالب الطب جورج حبش وهاني الهندي(*). فقد تطوع كل من حبش والهندي «في جيش الإنقاذ العربي» سنة ١٩٤٨م، حيث عمل حبش مساعد طبيب[3].

---

(١) قاسمية: الفلسطينيون في الوطن العربي، مرجع سبق ذكره، ص٤٧٠.

(٢) عبد القادر ياسين: الخلفية التاريخية للمقاومة العربية في فلسطين، الطليعة، (القاهرة)، يونيو ١٩٦٩، ص١٣.

(*) هاني الهندي هو سوري الأصل، مواليد ١٩٢٧م في بغداد، وابن ضابط كبير عمل في الجيش العراقي، سابقاً، ثم في الجيش السوري. أنظر محمد جمال باروت: حركة القوميين العرب، النشأة- التطور- المصائر، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق، ط١، ١٩٩٧م، ص٥٣.

(٣) يزيد صايغ: الكفاح المسلح...، مرجع سبق ذكره، ص١٣٢.

ولقد شعر كل من حبش والهندي إثر الحرب بمرارة شديدة جراء تفرق العرب، وجراء ما اعتبراه تعاوناً من قبل بعض الحكومات العربية مع بريطانيا ومع الصهيونية، حيث قررا معاقبة أي زعيم عربي يسعى للصلح مع إسرائيل، وقررا إفشال الهدنة من خلال مهاجمة المصالح الغربية والصهيونية، كما عملا على إنشاء منظمة كتائب الفداء العربي السرية (*). وذلك بالتعاون مع بعض الناشطين السوريين، ومجموعة من الناشطين المصريين المطاردين، وكان المصريون ينتمون إلى مجموعة « القمصان الخضر » التابعة لمصر الفتاة، حيث لجأوا إلى سوريا بعد اتهامهم باغتيال أحد الوزراء المصريين(١). وقد وفر المصريون القوة الضاربة، وشددوا على أهمية العنف السياسي في وقت لم تكن الجماهير معبأة بعد للتحرك، وكان المصري المطارد (حسين توفيق) صاحب النفوذ الأكبر في « كتائب الفداء العربي» حيث أثر في الشبان الفلسطينيين الذين قابلهم في دمشق خلال ١٩٤٩ - ١٩٥٠م، ووفر لهم تدريباً عسكرياً أولياً(٢). وكانت «جمعية العروة الوثقى» (*) في الجامعة الأمريكية

(*) يتفق أكثر المراقبين على أن هذه المنظمة سرية وشبه عسكرية وهي وليدة النكبة، حيث نذرت نفسها لتحرير فلسطين، وأن مؤسسيها هم: جهاد صاحي، وجورج حبش، وهاني الهندي، وحسين توفيق، وعبد القادر عامر، وكانوا شباباً، بعضهم جارب إلى جانب الجيوش العربية عام ١٩٤٨م، وصدمهم الفرق بين قوة إسرائيل العسكرية وضعف القوات العسكرية العربية، كما هزتهم تجربة اللاجئين المؤلمة. انظر: إميل توما: الأعمال الكاملة، المجلد الرابع، معهد إميل توما للأبحاث السياسية والاجتماعية، حيفا، ١٩٩٥م، ص٣١٤، وانظر أيضاً: باروت، مرجع سبق ذكره، ص٤٠.

(١) المجموعة المصرية كانت، حينذاك، لاجئة سياسياً في سوريا بعد اغتيال أمين عثمان وزير المالية المصري، رسالة للباحث من نايف حواتمة، ٢٠ شباط/ فبراير ٢٠٠٢م، نايف حواتمة هو أحد قياديي «حركة القوميين العرب» في الوطن العربي، وعضو الأمانة العامة في الحركة، وهو منذ مطلع عام ١٩٦٩م، الأمين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. وأكد تلك المعلومات السيد هاني الهندي، في المقابلة الشخصية التي أجراها معه الباحث، في ٢٠ مايو ٢٠٠٢م، في منزله بالقاهرة.

(٢) يزيد الصايغ: الكفاح المسلح....، مرجع سبق ذكره، ص١٣٣.

ببيروت هي المسرح الذي قامت عليه التجارب التنظيمية الأولى للحركة، حين وجه جورج حبش مقترحاته لأعضاء اللجنة التنفيذية لجمعية العروة الوثقى بتأسيس منظمة سرية قومية جديدة تكون اللجنة التنفيذية للعروة الوثقى نواة لها، وقد استجاب لهذا الاقتراح كافة الأعضاء[1]. فباتت محاضرات جمعية العروة الوثقى تدور حول موضوعات الكفاح المسلح، وتشكيل المجموعات الثورية.

وظهرت الثمرة الأولى لهذا النشاط المشترك في ٦ آب/ أغسطس ١٩٤٩م، حين هوجم معبد اليهود في دمشق، مما أسفر عن قتل ١٢ شخصاً، وجرح ٢٧، وكذلك تم زرع قنابل في مدرسة الأليانس اليهودية في بيروت، فضلاً عن نشاطات مماثلة ضد مؤسسات أوروبية وأمريكية[2].

ولكن سرعان ما تفككت هذه المنظمة بعد محاولة اغتيال فاشلة لنائب رئيس الأركان السوري أديب الشيشكلي في ١٢ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٥٠م، على طريق دمر- دمشق، وطرح مسألة اغتيال أكرم حوراني لمعارضته وحدة سوريا والعراق[3]. هذه المحاولة هي الحدث الذي فجر الموقف ما بين تيارين متعارضين داخل المنظمة، عندما قبلت المجموعة المصرية التعامل مع السياسيين السوريين لوضع خطة لاغتيال أديب الشيشكلي وأكرم حوراني[4].

(*) هي جمعية، تأسست في أوائل الثلاثينات، وكانت جمعية أدبية، ولكنها تحولت، فيما بعد، إلى جمعية سياسية قومية.

(١) معن زيادة: مرجع سبق ذكره، ص٣٢٩.

(٢) حازم صاغية: قوميو المشرق العربي من درافيوس إلى غارودي، رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٠، ص١٦٦.

(٣) نايف حواتمه: يتحدث: دار الجليل للنشر والأبحاث الفلسطينية، ط٢، عمان، ١٩٩٧م، ص٣٩.

(٤) باسل الكبيسي: حركة القوميين العرب، منشورات الاتحاد العام للكتّاب الصحفيين الفلسطينيين، دار العودة، بيروت، ١٩٧٤م، ص٥١.

في حين عارض أعضاء المجموعة السورية واللبنانية العملية من منطلق الشبهة والشك بأنها تتم لحساب بعض السياسيين السوريين، وأدى فشل المحاولة إلى ملاحقة الشرطة السورية لأعضاء المنظمة، واعتقال بعض أعضائها، بعد محاولة الاغتيال تم اعتقال ١٣ عضواً من أعضاء الكتائب ومنهم، وفتحي كينكاني، ونزار جرداني، وعلي منكو، وطارق الخضري، وحامد الجبوري، وتم اعتقال أربعة من أعضاء القيادة الخماسية للكتائب وهم: قائد العملية حسين توفيق، وعبد القادر عامر، وجهاد ضاحي، وهاني الهندي، وقد وأفرج عنهم فيما بعد بفترة قصيرة.

ويذكر هاني الهندي أن الشيشكلي جلس معه عدة مرات وبعد الانتهاء من التحقيق في القضية، وكان يطرح الأسئلة عليه باستغراب ويعاتبه على محاولتهم قتله، وقال الشيشكلي: ألم أشارك في حرب ١٩٤٨م في شمال فلسطين مع جيش الإنقاذ؟ ولماذا لا تحاول قتل الخونة الحقيقيين في بغداد والأردن؟ ولكن سرعان ما كان يهدأ عندما يسمع من الهندي أن هناك أيد خفية وراء محاولة الاغتيال[1]. بينما اضطر بقية الأعضاء إلى اللجوء للتخفي، وقد تمكن حبش من التخفي بمساعدة أحد أصدقائه في بيروت، وقد كان في السنة الخامسة بكلية الطب عندما قرر قطع الدراسة والاختفاء[2].

وسرعان ما ضاق الهندي وحبش ذرعاً بالاتجاه الذي اتخذته «كتائب الفداء العربي» لشعورهما بأنها تمارس العنف دون الاستناد إلى برنامج واضح وشامل، وكانا يأملان بتطوير الهجمات المسلحة إلى عمل عسكري ضد إسرائيل عبر الحدود[3].

(١) لقاء مع هاني الهندي، ٢٠ أيار/ مايو،٢٠٠٢م في منزله بالقاهرة.

(٢) فؤاد مطر: حكيم الثورة، قصة حياة الدكتور جورج حبش، هاي لايت، لندن، ١٩٨٤، ص٢٩.

(٣)الصايغ: الكفاح المسلح...، مرجع سبق ذكره، ص١٣٤.

وكانت محاولة اغتيال أديب الشيشكلي منعطفاً حاسماً في حياة «كتائب الفداء العربي» وفي حياة جورج حبش، فلم تساعده على حل المنظمة والتخلص منها، ورفض المضي في طريق المغامرات السياسية فحسب، بل أيضاً على الإسراع نحو تأسيس منظمة بديلة، عبر تطوير التنظيم، وزجه في عمل سياسي، بقصد التوغل في صفوف الجماهير[1]. وقد استطاع حبش أن يوظف جمعية العروة الوثقى لتكون مركزاً لنشاطها السياسي وقد عمل عبر لجنتها التنفيذية على جمع المؤيدين، وتنظيمهم، ودفعهم إلى خضم المعركة السياسية [2].

وقد التقى حبش عدداً من النازحين الفلسطينيين، وطلاباً قوميين، تألفت منهم القيادة المؤسسة لما عرف فيما بعد بحركة القوميين العرب، وتألفت هذه النواة من ثمانية طلاب وهم: حبش وأحمد الخطيب، (طالب كويتي)، ووديع حداد، وهاني الهندي، وصالح شبل، وحامد الجبوري، وقد توسعت المجموعة التأسيسية في عام ١٩٥١ - ١٩٥٢م بعد أن ضمت إلى عضويتها مجموعات أخرى من الطلاب من لبنان، وسوريا، والأردن، لتنشئ معاً تنظيم «حركة القوميين العرب» وكان شعارهم الأول «وحدة- تحرر- ثأر» وتم بذلك بلورة شعاراتهم التي كانت تعكس مضمون برنامجهم السياسي[3].

وكان في هذا الشعار - كما يرى جورج حبش- جواب على الذين يتساءلون:

(١) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين اللجنة المركزية، مشروع وثائق المؤتمر الوطني السادس، كانون الأول/ ديسمبر، ١٩٩٧م، ص٩٩.

(٢) أبو علي مصطفى: الخبرات السياسية لحركة القوميين العرب والجبهة الشعبية خلال القرن الماضي، الندوة الفكرية السياسية، منتدى الفكر الديمقراطي الفلسطيني، غزة، ٢٠٠٠م، ص٦.

(٣) الجبهة الشعبية: جورج حبش، المركز الطلابي التقدمي، غزة،١٩٩٦، ص٨. انظر أيضاً يزيد الصايغ: الكفاح المسلح... ، مرجع سبق ذكره، ص١٣٤.

لماذا لم نسر في خط الإخوان المسلمين، أو في خط القوميين السوريين، أو حتى في خط البعث.

ويضيف: «وهذه الحالة ليست كل المفاهيم التي طرحتها الحركة، وهناك مسألة في غاية الأهمية من خلال الحديث عنها نلتمس الجواب حول موضوع عدم التركيز على القضية الاجتماعية. إن حركة القوميين العرب اهتمت في تلك الفترة بالمرحلية، وقد ناقشنا هذه المسألة مع حزب البعث، ورأينا أنه من السابق لأوانه رفع شعار الاشتراكية، الذي كان البعث أول من رفعه، ومنطقنا في ذلك أن الثورة العربية تمر في مرحلتين متشابكتين ومتمايزتين في الوقت نفسه، المرحلة الأولى: هي مرحلة الثورة السياسية، والمرحلة الثانية: هي مرحلة الثورة الاجتماعية، والشعار الذي رفعناه «وحدة- تحرر- ثأر» كان من أجل تحقيق الثورة السياسية ولم نهتم بالثورة الاجتماعية، لأن المطلوب في تلك الفترة كان تجميع غالبية الجماهير العربية وحشدها، لخوض معركة سياسية هي معركة توحيد الأمة العربية، وتحررها، واستقلالها، والتحرر من مفهومنا آنذاك لم يكن «التحرر الاجتماعي» وإنما التحرر السياسي. وكانت المسألة أولويات، كما وكانت رؤيتنا بعد تحقيق الثورة السياسية أن نقتحم الثورة الاجتماعية التي كانت في تفكيرنا آنذاك وهي الثورة الاشتراكية»[1].

لقد كان تحرير فلسطين هو هدف حركة القوميين العرب الرئيسي، لكن الحركة رأت استحالة تحقيق ذلك ما لم يتم تخليص الدول العربية من براثن الاستعمار، وتوظيف الإمكانيات العربية في المعركة ضد إسرائيل[2]. وقد تجاهلت الحركة

(١) مطر: مرجع سبق ذكره، ص٤٦.

(٢) يزيد الصايغ: الكفاح المسلح...، مرجع سبق ذكره، ص١٣٤. وانظر كذلك آمنون كوهين: الأحزاب السياسية في الضفة الغربية في ظل النظام الأردني ١٩٤٩- ١٩٦٧م، ترجمة خالد حسن، مطبعة القادسية، القدس، ١٩٨٨م، ص١٦١، ١٦٢.

خصوصية الشعب الفلسطيني في الصراع مع اليهود، واعتبرت أن الصراع موجه أساساً ضد الأمة العربية ككل، وأن الشعب العربي هو المستهدف من الخطر الصهيوني[1].

والملاحظ أن شعارات الحركة لم تستعمل قط تعبير «الفلسطينيين» ولا «الشعب الفلسطيني» وإنما كان تعبيرها السائد هو «الناصريون» أو «الناصريون العرب» أو «عرب فلسطين»[2].

وكان وديع حداد يخاطب الأعضاء الجدد في الحركة بقوله: «إن الطريق إلى تل أبيب يمر بدمشق، وبغداد، وعمان، والقاهرة، وقد آمنت الحركة بضرورة إحداث تغيير شامل في النظم العربية، مع تشديدها في الوقت نفسه على أن هذا يتطلب تحضيراً أساسياً واسعاً، وكانت الخطوة الأولى في هذا السبيل إنشاء (هيئة مقاومة الصلح مع إسرائيل) التي عملت على تعبئة الفلسطينيين من خلال نشرة (الثأر) ضد مخططات إعادة توطينهم التي قدمها كل من (الأونروا) (والولايات المتحدة الأمريكية) في الفترة من ١٩٥٠- ١٩٥٣م، وأثبتت «الهيئة» فعاليتها، إذ أتاحت لحركة القوميين العرب إقامة صلات بمخيمات اللاجئين في سوريا والأردن، وتأليف خلايا سرية جديدة في أوساطها[3].

وكان أول اتصال للحركة في المخيمات من خلال معلم مدرسة يدعى «أحمد اليماني» الذي عرف بنشاطه النقابي العمالي في فلسطين قبل ١٩٤٨م، وقدر له أن يصل إلى المراتب القيادية العليا في حركة القوميين العرب، ثم في الجبهة الشعبية

(١) إبراهيم ابراش: البعد القومي للقضية الفلسطينية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٠٣. وانظر كذلك: باروت: مرجع سبق ذكره، ص٦٧.

(٢) الثأر: مجلة تصدر عن حركة القوميين العرب، بيروت، ١٨ آب/ أغسطس، ١٩٥٥م، ص٣.

(٣) يزيد الصايغ: الكفاح المسلح...، مرجع سبق ذكره، ص١٣٥.

المتفرعة لاحقا[1].

وذكر اليماني أنه التقى حبش وجماعته في أحد مواسم الشتاء، واقترح عليه تقديم تبرعاته على شكل نقدي، وذلك لاستغلالها في إطار الفرق الكشفية المنتشرة في مدارس مخيمات اللاجئين، في مجال بناء وإعداد مقاتلين مدربين مستقبلاً، وسرعان ما تلقف حبش هذه الفكرة، وتم بناء علاقات تنسيقية بين زملائه في الجامعة الأمريكية من جهة، وبعض نشطاء المخيمات الفلسطينية من جهة أخرى، وكان هؤلاء منضوين تحت أسماء منظمات وهمية مثل: « التنظيم العربي الفلسطيني، والمنظمة العسكرية لتحرير فلسطين».

ولم يمر وقت طويل حتى غدت العلاقة التنسيقية بين الطرفين علاقة تنظيمية، في إطار ما عرف منذ ذلك الوقت باسم حركة القوميين العرب ومنذ ذلك الحين انصب اهتمام الحركة على الشئون الحياتية للاجئين، مثل: التعليم، والصحة، والتموين، وما إلى ذلك. كما اقتصر اهتمامها السياسي على رفض مشاريع التسوية والتوطين، ورفض مبدأ التعويضات، وما تفرع منها: ومن جهة أخرى نشطت الحركة في مجال بناء فروعها التنظيمية، بعد أن تخرج طلاب الجامعة الأمريكية، وعاد أعضاء النواة التأسيسية الأولى إلى أقطارهم في سوريا، والعراق، والكويت، والأردن على وجه الخصوص[2].

أما حبش فقد استقر في عمان، حيث استأجر عيادة للعمل فيها، ولحق به وديع حداد، بعد أن تخرج من كلية الطب، وبدأ العمل طبيباً وسياسياً، وكان من ضمن

(١) كوبان: مرجع سبق ذكره، ص٢١٩.

(٢) عيسى الشعيبي: الكيانية الفلسطينية، الوعي الذاتي والتطور المؤسساتي ١٩٤٧ - ١٩٧٧م، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، ط١، بيروت، ١٩٧٩م، ص٨٥.

برنامجها الاتصال بأوسع قواعد الجماهير والتفاعل معها، واختيار العناصر المناسبة لتنظيمها، وإصدار جريدة الرأي عام ١٩٥٣م، التي انتشرت بسرعة بين أوساط الجماهير.

وقد نظمت حركة القوميين العرب مظاهرة في حرم الجامعة الأمريكية ببيروت فى شهر آذار/ مارس١٩٥٤، ضد حلف بغداد[١]. الذي هدفت من ورائه بريطانيا إلى ربط الشرق الأوسط برباط عسكري تحت شعار مقاومة النفوذ الشيوعي في المنطقة[٢]. وفي تلك المظاهرة قتل طالب، وجرح تسعة وعشرون آخرون، عندما تحركت الشرطة لقمع المتظاهرين، ثم طردت الجامعة اثنين وعشرين طالباً لمشاركتهم في تنظيم المظاهرة. وكان جمال عبد الناصر فى تلك الفترة الزعيم الأول الذي يقود بحماس المعركة ضد الأحلاف، ومنها حلف بغداد، وقد أبدت الحكومة المصرية استعدادها لاستقبال الطلاب المطرودين، وإلحاقهم بجامعة القاهرة، كما عرضت جامعة القاهرة مقاعد فيها على الطلاب المطرودين فوراً، وبينهم عدد من كبار أعضاء الحركة، من هؤلاء الطلاب: الحكم دروزة، ونزار سردست، وغسان البرازي، ونبيهة لطفي، وسائدة الحسيني، وعمر البرازي، ورمزي دلول، وعمر فاضل، ومحمود نور الله، وسميرة أبو غزالة، ومكرم عودة، وسمير حداد[٣]. وذلك بأمر خاص من الرئيس المصري جمال عبد الناصر[٤]. وقد شعر عبد الناصر بحقيقة النية الاستعمارية المتخفية وراء حلف بغداد، وأكذوبة الخطر الشيوعي، والخطر

(١) كوبان: مرجع سبق ذكره، ص٢١٩.

(٢) مركز الخليج للبحوث والدراسات الاستراتيجية: الوثائق السرية البريطانية، وزارة الخارجية البريطانية، لندن، الأهرام (القاهرة)، الحلقة الثامنة، ١٩/ ٢/ ١٩٨٦م.

(٣) الهندي ونصراوي: ، مرجع سبق ذكره، ص١١٨.

(٤) كوبان: مرجع سبق ذكره، ص٢١٩.

الذي يمكن أن يحدق بالبلدان العربية إن هي انساقت في سياسة الأحلاف هذه(١).

لذا يمكن القول إن طرد القوميين العرب من الجامعة الأمريكية ببيروت، واتخاذ الإجراءات الصارمة ضد المناضلين كان ذا فائدة كبيرة للحركة، ولولا ذلك لما أتيحت الفرصة لبناء جسور تصلها بثورة ٢٣ يوليو خلال تلك الفترة القصيرة. وقد حددت الحركة مواقفها العدائية لسياسة الأحلاف، انطلاقاً من رؤيتها لهذه السياسة باعتبارها مناورة امبريالية في المنطقة العربية، تهدف إلى ربط البلاد العربية، وإسرائيل، والدول الغربية في إطار مشترك من المصالح، وفي الوقت نفسه وضع العرب في حالة الشعور بالخطر الخارجي، وهو الاتحاد السوفيتي، وإبعاد الأنظار عن الخطر الحقيقي المرابط على الحدود، وهو الخطر الصهيوني(٢).

ويجمع المؤرخون على القول إن السياسة الناصرية كانت هي العنصر الحاسم في توسع «حركة القوميين العرب» ونفاذها إلى المجتمع العربي من المحيط إلى الخليج، وكانت الحركة على اتصال بالمخابرات المصرية وكما كانت نشراتها تمول من قبل عبد الناصر(٣).

وكان الدور الذي لعبته الحركة في الأردن متأثراً بموقف الملك حسين من السياسة الناصرية، وعليه يلاحظ التحول في هذا الموقف عندما أقال الملك حسين

---

(١) كانت مصر تعمل جاهدة على إنجاح سياستها بإقامة اتحاد عربي إقليمي، بدلاً من انزلاق بعض دول المنطقة إلى مشروع الحلف الدفاعي، وكان العراق متعاوناً مع الغرب، حيث أخل بهذه القاعدة بقوله: «إن الخطر الشيوعي سوف يهدد كل المنطقة العربية دون استثناء». للمزيد انظر: جايل ماير: الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢ - ١٩٥٨م، (ترجمة عبد الرءوف عمر)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

(٢) الثأر: (بيروت)، ١٠/ ٢/ ١٩٥٥م.

(٣) Schiff، Zeev & Rothstein، R.: Fedayeen، the Story of the Palestinian Guerrillas (London; Vallentine، Mitchell، 1972). pp 108- 109.

«جلوب باشا» قائد الجيش الأردني في حينه ، واختيار سليمان النابلسي على رأس حكومة وطنية، والتي أقالها الملك بعد ذلك[1]، فأمسكت الحركة زمام الرفض الشعبي احتجاجاً على إقالة حكومة النابلسي وأصدرت الحركة مجلة في الأردن تحت اسم «الشعب أقوى» بتوقيع طلائع« النضال القومي» التابع لحركة القوميين العرب، والتي كانت تقوم بالتحريض على النظام الأردني لتآمره مع الغرب، وهاجمت المجلة الجديدة حكومة الأردن، ودعت للكفاح المسلح ضد الظلم الذي تمارسه الحكومة الأردنية الجديدة من اعتقال الشرفاء، كما مارسوا الضغط لإسقاط تلك الحكومة[2].

وقد اتخذت الحكومة الأردنية التدابير المشددة تجاه الشعب الأردني الذي تفاقمت نقمته على حكامه، محاولة أن تضع حداً للنقمة المتزايدة عليها، حيث اتخذت تدابير مشددة مثل منع التجول فى بعض مناطق المملكة، وفرض عقوبة الإعدام على مرتكبي العنف والتحريض، وأخذت الإذاعة الأردنية تهاجم مصر وسوريا، متهمة إياهما بدعمهما للذين يقومون بمثل هذه الأعمال، كما تطاولت هذه الإذاعة على الزعيم جمال عبد الناصر دون هوادة[3].

وقد انتقل مركز الثقل في عمل الحركة إلى لبنان وسوريا، في عام ١٩٥٨م بعد

(١) كان برنامج حكومة النابلسي يصب في المحور العربي المناهض للسياسة الاستعمارية في المنطقة، ولقد حققت هذه الحكومة إنجازات مهمة، مثل توقيع اتفاقيات التضامن العربي بين مصر وسوريا والسعودية =والأردن الموقعة في ٩ كانون الثاني/ يناير ١٩٥٧م. للمزيد انظر : **وثائق فلسطين ١٩٣٩ - ١٩٨٧م**، دار الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٨٧م، ص٣٠٢.

(٢) وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف السري الجديد، الأمانة العامة للمحفوظات، الجزء الأول، محفظة رقم ٣٥٧، الملف رقم ٧٦٣ ج٢، تقرير مرسل من السفارة المصرية في عمان إلى وزارة الخارجية المصرية ، تحريراً في ٢٧/ ٤/ ١٩٥٨م.

(٣) المصدر نفسه، تحريراً في ٥/ ١١/ ١٩٥٧م.

انحسار وجود الحركة في الأردن، ومع إعلان الوحدة بين مصر وسوريا، رابطة بذلك مصيرها بمصير دولة الوحدة، وتوجت الحركة سياستها الناصرية بافتتاحية العدد الأول من مجلة « الحرية» التي صدرت عن الحركة عام ١٩٥٩م.

وبذلك اعتبرت الحركة أن الجمهورية العربية المتحدة هي القاعدة المنطلقة لتحرير فلسطين، وقد كانت شديدة العداء للقوى والأحزاب التي كانت تعادي أو تعارض سياستها، فخاضت الحركة صراعات مريرة مع الشيوعيين العرب[1]. وتصدت لمواقف حزب البعث المعارض لسياسات عبد الناصر، إضافة إلى ذلك فقد أدت سياسة الحركة إزاء الجمهورية العربية المتحدة إلى عدم استيعابها لسرعة التطورات التي أخذت فى الظهور خاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية[2].

ويبدو أن انحياز الحركة الكامل إلى سياسة عبد الناصر ومواقفه من مسألة إحياء الكيان الفلسطيني، قد أخر مهمة إيجاد الأطر المناسبة لتنظيم الفلسطينيين الناشطين في ساحات العمل المختلفة، حيث لم ينعقد المؤتمر القطري الفلسطيني الأول للحركة إلا في عام ١٩٦٣م، لتنبثق عنه قيادة العمل الفلسطيني في الحركة.

وتشير الأدبيات الصادرة عن حركة القوميين العرب في مطلع الستينيات إلى أن مساهمة الحركة في الجدل الدائر حول مسألة إحياء الكيان الفلسطيني بقيت محدودة، حيث بدأ القوميون العرب في ذلك الوقت يدخلون مرحلة جديدة من تطورهم،

(١) الحكم دروزة: الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية، دار الفجر الجديد، بيروت، ١٩٦١م ص١٦. انظر كذلك منشورات حركة القوميين العرب: لتتحد جميعاً لتحطيم الخطر الشيوعي، بغداد، ١٩٥٩م، ص١٧.

(٢) فيصل جلول: حركة القوميين العرب، الفكر العربي، (بيروت)، تموز/ يوليو- أيلول/ سبتمبر، العدد (٢٨)، ١٩٨٢ ص١٨٦.

حيث تميزت بعد صدور القرارات الاشتراكية[1]، في الجمهورية العربية المتحدة في شهر تموز/ يوليو ١٩٦١م، وذلك بتركيزهم على «العمل الثوري العربي»، واعتبار أن الوحدة العربية بدأت تتخطى النطاق السياسي لتحتوي الانقلاب الاقتصادي والاجتماعي الشامل.

وجاءت نكسة الانفصال في شهر أيلول/ سبتمبر من العام نفسه، لتعميق التوجهات الاجتماعية في سياسة «القوميين العرب» الذين نظروا إلى انفراط عقد الوحدة، باعتباره عملاً نجم عن تحالف الإقطاع مع البرجوازية، ووقوفها ضد الوحدة[2]، وقد تعاملت الحركة مع الانفصال على اعتبار أنه تخطيط من القوى الرجعية العربية والإمبريالية العالمية، حيث قامت الوحدة بمضمون معاد للاستعمار، ومشاريعه، وأحلافه، وطالبت الحركة الجماهير العربية بإنهاء الحكم الانفصالي، واعتبرته مهمة النضال الأولى في سوريا[3].

ورغم هذا الموقف لحركة القوميين العرب من الانفصال فقد حدثت حالة من الصراع الداخلي أو الجدل الشامل في «حركة القوميين العرب»[4]، حيث كان الانفصال السبب في تقييم تجربة العمل القومي كله، ومساراته، والنجاحات والإخفاقات التي واجهتها، ومن هنا أعادت الحركة عملياً ترتيب سلم الأولويات

(١) ماهر الشريف: البحث عن الكيان، دراسات في الفكر السياسي الفلسطيني ١٩٠٨ - ١٩٩٣م، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، شركة F.K.A المحدودة للنشر، نيقوسيا، ص٨٧.

(٢) المرجع نفسه، ص٩٩.

(٣) بيان لحركة القوميين العرب في الذكرى السادسة للوحدة بين سوريا ومصر، الوثائق العربية عام ١٩٦٤م، وثيقة رقم ٣٧، الجامعة الأمريكية، بيروت، دار الدراسات السياسية، الإدارة العامة، ص٧٢.

(٤) الجبهة الشعبية: جورج حبش، مرجع سبق ذكره، ص١٤.

الذي وضعته لتحقيق أهدافها ومنطلقاتها القومية، بحيث تراجعت أولوية الوحدة لتصبح لاحقة للمهمة النضالية الهادفة إلى إدخال تغييرات جذرية على الواقع الاجتماعي والاقتصادي العربي، وقد ربطت الحركة تحقيق الوحدة العربية بمهام في مقدمتها القضاء على العناصر المناوئة لعملية الوحدة حيث أصبحت تطالب بإدخال المضامين الاجتماعية والاقتصادية لدولة الوحدة، بحيث تكون دولة قادرة على إحداث تغييرات جذرية في الواقع العملي، أي دولة ذات مضمون اشتراكي[1].

وقد تحفظ أحد قادة القوميين العرب وهو محسن إبراهيم على القرارات الاشتراكية، ووافق عليها بشكل مشروط، ثم عاد واقترح دمج القوميين العرب بالناصرية على الصعيد القومي، وذهب بنفسه إلى مصر ليناقش الأمر مع جمال عبد الناصر[2]. وبين له التطور الذي طرأ على توجهات حركته وبين النهضة الاجتماعية التقدمية التي ألهبت آسيا وأفريقيا معتبراً أن الحركة القومية في الوطن العربي لم يعد بإمكانها أن تعزل نفسها عن حركة التقدم الاجتماعي الصاعد[3].

وكان لفشل الوحدة بصمات واضحة على مجمل الهياكل الفكرية والتنظيمية لحركة القوميين العرب، فقد أدى هذا الانفصال الوحدوي إلى انفصال بنيوي للحركة، فاستوعب الألوف من أبناء الطبقة البرجوازية، والوسطى، والعمال، والفلاحين في كل فروع الحركة[4].

(١) الحرية (بيروت) العدد ١٠٩، ٢٦/ ٠٢/ ١٩٦٢م، ص٦- ٧.

(٢) انظر: جلول، مرجع سبق ذكره، ص١٨٧. وانظر أيضاً: كوبان، مرجع سبق ذكره، ص٢٢٠.

(٣) الشريف: البحث عن كيان، مرجع سبق ذكره، ص٩٩، نقلاً عن محسن إبراهيم: الحركة القومية كما نفهمها، النادي الثقافي العربي، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦١م، ص ٣٦- ٤٦.

(٤) نايف حواتمة: نايف حواتمة يتحدث: مرجع سبق ذكره، ص٤٣.

وكانت حركة القوميين العرب تواجه يوماً بعد يوم بالسؤال الصعب، كيف توفق بين تشددها على أهمية الوحدة العربية وبين ضرورة تركيزها على فلسطين بصورة خاصة؟ وإلى أي مدى يجب أن يمنعها التزامها تجاه عبد الناصر من القيام بعمل عسكري مستقل ضد إسرائيل؟[1].

ويمتد جذور الجدل الذي تطور داخل الحركة إلى اجتماع اللجنة التنفيذية السنوي في دمشق سنة ١٩٥٩م، الذي ناقش إمكانيات تفجير الكفاح المسلح ضد الحكم البريطاني في عدن، وقد أثر ذلك النقاش في اللجنة التنفيذية التي بحثت في إمكان شن الكفاح المسلح في فلسطين في اجتماعها اللاحق سنة ١٩٦٠م، غير أنها قررت عدم إتباع هذا النهج، وأنشأت الحركة فعلاً «لجنة فلسطين» سنة ١٩٥٩ تألفت من حبش، والهندي، وحداد، وأسامة النقيب، وزاهي قمحاوى، وعبد الكريم حمد، وأحمد اليماني، لكن لم يجر فصل الفلسطينيين عن الأعضاء الآخرين أو تجميعهم في فرع خاص بهم[2].

ويروي حبش أنه عرض على عبد الناصر مسألة الإعداد للكفاح المسلح، والبدء على الفور بالعمل به، ليكون بمثابة حركة تحرير وطني فلسطيني مستندة إلى القاعدة الناصرية، وليست بديلاً عنها وتم التفاهم مع عبد الناصر حول إعداد الفدائيين، وتدريبهم، وتسليحهم، والتسلل إلى الأراضي المحتلة، لاكتشاف الطرقات، والمراكز، وإيجاد قوى تنظيمية داخل الأراضي المحتلة. أما الأمور التي لم يتفقوا بشأنها فأبرزها توجيه ضربات إلى إسرائيل فقد اعتقد البعض أنها مسألة مبكرة. ووجهة نظر عبد الناصر أنه من الممكن القيام بعمليات، ورسم حدود معينة لها،

(١) صايغ: الكفاح المسلح... ، مرجع سبق ذكره، ص١٤١.

(٢) المرجع نفسه، ص١٤١: ١٤٢.

لكن الجانب الإسرائيلي سيرد، ومن الصعب التحكم في رد الفعل الإسرائيلي، وما دمنا لسنا مستعدين لمواجهة حجم رد الفعل فمن الطبيعي عدم الإقدام على خطوة ليست في الإمكان مواجهتها[1].

وأيضا وقع حدثان مهمان كان من شأنهما إعطاء حافز حقيقي للحركة الوطنية الفلسطينية، أولاً: انفصال الوحدة بين سوريا ومصر، ومعه انهار مفهوم الوحدة كطريق لتحرير فلسطين، وتحقق الفلسطينيون أن بلوغ الوحدة مهمة شبه مستحيلة، وأنهم لا يستطيعون الانتظار حتى تتحد جميع الأقطار العربية، ولذلك كان من الضروري البحث عن الشخصية الفلسطينية والعمل الفلسطيني المستقل، ونتيجة لهذه الأفكار نشأت أكثر من ثلاثين منظمة فلسطينية، ضم معظمها عدداً قليلاً من الأعضاء، وكان هذا العدد الكبير من المنظمات دليلاً على رغبة الفلسطينيين في العمل بجد واستقلالية من أجل تحرير وطنهم. ثانيا: كان لانتصار الثورة الجزائرية في عام ١٩٦٢م قد أعطى وزناً كبيراً لمبدأ النشاط الفلسطيني المستقل[2].

واشتد الجدال الداخلي للحركة سنة ١٩٦٢م عقب إعلان استقلال الجزائر بعد كفاح دام طويلاً، ومع ذلك عارضت قيادة الحركة اتباع نموذج الجزائر في العمل العسكري المستقل، خوفاً من أن يؤدي ذلك إلى تخلي الدول العربية عن مسئوليتها تجاه تحرير فلسطين، فقد قام الكثير من أعضاء حركة القوميين العرب في لبنان، وسوريا، والأردن بمقابلة أعضاء من فرع (عدن) كانوا قد انضموا إلى الحركة عندما كانوا طلاباً في القاهرة سنة ١٩٥٩م، في أثناء دورة تدريبية لهم في مركز تدريب

(١) يزيد الصايغ: رفض الهزيمة، بدايات العمل المسلح في الضفة والقطاع ١٩٦٧، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٢، ص٩٥.

(٢) رياض الريس، دينا النحاس: المسار الصعب، المقاومة الفلسطينية منظماتها-أشخاصها- علاقاتها، الخدمات الصحافية، ط١، بيروت، ١٩٧٦م، ص٢٢.

الصاعقة في أنشاص، وكان العدنيون يعدون العدة لحملة عسكرية بغية إخراج البريطانيين من عدن، وهو أمر أثار رفاقهم الفلسطينيين، خاصة وديع حداد، كما تحمس الفلسطينيون عندما استولى الضباط الجمهوريون على السلطة في اليمن في أيلول/ سبتمبر ١٩٦٢م، وأشعلوا بعملهم هذا حرباً أهلية وأثاروا تدخلاً مصرياً، لكن ربما كان أكثر التأثيرات أهمية اعتراف عبد الناصر أمام المجلس التشريعي في غزة في نهاية حزيران/ يونيو ١٩٦٢م، عندما قال: إنه ليس لديه خطة أي برنامج محدد الخطوات والتوقيت لإنقاذ فلسطين وأن أهم ما يشغل باله في هذه المرحلة الاستعداد، وقال الذي يريد أن يخوض الحرب لا بد أن يستعد لها[1].

كل هذه العوامل جعلت «حركة القوميين العرب» تتجه نحو البحث عن أطر لتنظيم الشعب الفلسطيني، وإذا كان جدل الحركة نحو مسألة إحياء الكيان الفلسطيني محدوداً خلال هذه الفترة، فإن وجود حوالي ٣٦ تنظيماً فلسطينياً ما بين عامي ١٩٦١- ١٩٦٢م[2]، كان يفرض عليها إجرائياً أن تفكر بنوع من العمل الفلسطيني في إطار «حركة القوميين العرب»، يستطيع أن يحقق حضوراً للحركة في سياق الواقع الجديد[3].

خاصة عندما بدأت حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح» نشاطها السياسي في عام ١٩٥٨م، وفجرت الثورة المسلحة في أول عملية عسكرية لها في مطلع عام ١٩٦٥م، ونادت مجلة «فلسطيننا» الناطقة باسم فتح باستقلالية الكيان الفلسطيني،

(١) فلسطين ملحق المحرر (بيروت) كانون الأول / ديسمبر ١٩٦٤م، العدد ٢، ص٣.

(٢) غسان كنفاني: دفاعاً عن الحزبيين، فلسطين ملحق المحرر، (بيروت) ٧٥٦، العدد ٣١، ٣٠/ ١٢/ ١٩٦٥م، ص٨- ٩.

(٣) الشريف: البحث عن كيان، مرجع سبق ذكره، ص١٠٠.

ورفضت حركة «فتح» توزيع الولاءات الفلسطينية، كما أنها رفضت أن ترتبط بأية جهة عربية رسمية[1]. وإذا كانت «حركة القوميين العرب» قد سجلت شيئاً من التحفظ ضد مبادرة فتح لممارستها العمليات المسلحة، فقد جاء موقفها هذا متأثراً بعوامل ثلاثة:

الأول: موقفها ذاته كحركة سياسية، حيث لم تكن قد قررت بعد التحول إلى حركة مسلحة.

الثاني: حرصها على شعبيتها التي كانت تخشى أن تنافسها «فتح» عليها في هذا المجال.

الثالث: تأثرها بموقف الجمهورية العربية المتحدة التي اتخذت هي الأخرى موقفاً سلبياً من نشاطات «فتح»، وذلك لأن عبد الناصر كانت تقدم له تقارير ضد «فتح» آنذاك وفق الاعتراضات الثلاثة المعروفة (التوقيت، والتنسيق، والتوريط):

- **التوقيت:** على أساس أنه غير مناسب لبداية العمل المسلح.

- **التنسيق:** باعتبار أن التنسيق غير موجود مع أنظمة المنطقة ولاسيما مع عبد الناصر.

- التوريط: نظراً إلى أن الانطلاق بالعمل المسلح في غير وقته، وبدون أدنى تنسيق مع الآخرين لا يمكن أن يقود إلا لتوريط الدول العربية للمواجهة مع الصهاينة، ولم يتم اللقاء الأول بين قادة فتح وعبد الناصر إلا بعد هزيمة ١٩٦٧م، حيث اجتمع في منزله مع كل من أبو عمار، وأبو إياد، وأبو اللطف، وذلك في نوفمبر ١٩٦٧م[2].

---

(١) فلسطيننا: (بيروت)، العدد ٢٠، السنة الثالثة، تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦١م، ص٣.

(٢) محمد كريشان: منظمة التحرير الفلسطينية التاريخ والفصائل والأيديولوجية، دار البراق، ط١، تونس، ١٩٨٦م، ص٢٤. انظر أيضاً فتح مدعوة للنقاش، فلسطين ملحق المحرر، (بيروت) العدد ٣٥، شباط/ فبراير ١٩٦٦م.

وهكذا لم تستطع حركة القوميين العرب الوقوف بعيداً عن القضية الفلسطينية، وخاصة أنها كانت الدافع الأساسي لقيام الحركة، إضافة إلى وجود الفلسطينيين في مختلف مراتب الحركة، وخاصة في لجنتها التنفيذية، لذا سارت الحركة خطوات واسعة نحو سحب البساط من تحت أقدام حركة «فتح» التي ضمت قطاعات واسعة من الجماهير الفلسطينية[1].

لذا قرر جورج حبش ووديع حداد البدء بتأسيس تجمع فلسطيني مستقل داخل الحركة، ثم تبنى مؤتمر الحركة هذه الخطوة في أيار/ مايو ١٩٦٤م، وقد أطلق على هذا التجمع اسم الجبهة القومية لتحرير فلسطين[2]، وكانت مهمتها هو العمل الفلسطيني، والتهيئة للكفاح المسلح في الساحة الفلسطينية، وإعداد المقاتلين. وفي إطار القيادة المركزية للحركة كان يدور جدل حول هذه القضية وقد كان وديع حداد يدافع بقوة للبدء بممارسة الكفاح المسلح، وكان العديد من الكوادر الفلسطينية ينقلب بالاتجاه الوطني، لكن الرأي الذي ظل سائداً آنذاك هو أن ممارسة الكفاح المسلح يحتاج إلى تنسيق واتفاق مع القيادة الناصرية، وكان يتوجب على وجهة النظر الأخرى الالتزام في النهاية بموقف اللجنة المركزية[3].

وقد بدأت «حركة القوميين العرب» فى عام ١٩٦٤، بأولى عملياتها العسكرية بعد أن تسلل عدد من أعضائها إلى الجليل، وسقط الشهيد خالد أبو عيشة. وهو الشهيد الأول من الفرع الفلسطيني لحركة القوميين العرب، وهو من العناصر التي

(١) رضوى عبد القادر ياسين: موقع القضية الفلسطينية في حركة القوميين العرب، صامد الاقتصادي، (عمان)، العدد ١٢٧، السنة ٢٤، يناير/ كانون الثاني- فبراير/ شباط- مارس/ آذار ٢٠٠٢، ص٦٨.

(٢) كوبان: مرجع سبق ذكره، ص٢٢١.

(٣) جورج حبش: مسار التجربة الرائدة ودروسها المستخلصة، الهدف (دمشق)، عدد خاص ٢٩٢، السنة التاسعة عشر، كانون الأول ١٩٨٧م، ص٤٠.

تم تدريبها في مصر في عهد الوحدة مع سوريا[1].

ولكن يبدو أن هذه البداية كانت متواضعة ولم تستمر. وفي مؤتمر حركة القوميين العرب المنعقد سنة ١٩٦٦ م اتخذ قراران رئيسيان:

١- إلحاق العناصر الفلسطينية في حركة القوميين العرب بمجموعة تسمى «إقليم فلسطين» والموافقة على فكرة الكفاح المسلح مع إرجاء البدء فيه، والذي تولى قيادتها: جورج حبش، ومعه أحمد اليماني (أبو ماهر)، وعبد الكريم حمد (أبو عدنان)، ووديع حداد.

٢- تبنى الاشتراكية العلمية لفكر عمل «حركة القوميين العرب»[2]. وذلك بهدف المساهمة في وضع الخطوط العريضة لخطة ثورية، وتشكيل قاعدة لوحدة العمل الفلسطيني ووضع إستراتيجية له. وقد شاركت حركة القوميين العرب في اللقاء الذي انعقد في ١٥ كانون الثاني/ يناير ١٩٦٦ م في إطار (م.ت.ف)، وضم هذا اللقاء ممثلين عن حزب البعث، والمكتب السياسي للقوى الثورية الفلسطينية، إضافة إلى بعض العناصر الفلسطينية المستقلة[3].

وقد وجهت حركة القوميين العرب دعوة إلى حركة فتح للاشتراك في هذه اللجنة، وإقامة تحالف للقيام بعمليات عسكرية مشتركة، إلا أن فتح رفضت هذه الدعوة، ولم تشارك في اللقاء، وردت فتح باستحالة التوحيد بين استراتيجيتين متناقضتين، تتبنى إحداهما الكفاح المسلح، وتعبر عن الانطلاقة الفلسطينية

(١) مطر: مرجع سبق ذكره، ص١١٦.

(٢) فوزي تيم: القوى السياسية الفلسطينية، القسم الأول: القوى العلمانية، في: المدخل للقضية الفلسطينية، ص٣٥٨. وانظر أيضاً رياض الريس ودينا النحاس: مرجع سبق ذكره، ص٥١.

(٣) انظر: اليوميات الفلسطينية، المجلد الثالث، يناير ١٩٦٦م/ ٣٠ يونيو ١٩٦٦م، م.ت.ف، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٦٧، ص٦٣.

والاستقلالية، والأخرى تعتمد على الجيوش النظامية، واعتبرت فتح أن وحدة القوى الفلسطينية لا يمكن أن تتم إلا على أرض المعركة[1].

ويبدو أن حركة القوميين العرب ما كانت لتوجه دعوة للحوار والتشاور مع القوى الفلسطينية. وحركة فتح إلا بعد قناعتها بجدوى العمل الفدائي، وضرورة وجود عمل فدائي موازٍ للعمل العربي، وهذا يعد بداية تراجع منها عن استراتيجيتها التي تبنتها طويلاً، ورأت أن العمل العسكري والكفاح المسلح لا بد منه، حتى تسحب البساط من تحت أقدام فتح التي باشرت بالعمل العسكري، وبالتالي بقي تنظيم «حركة القوميين العرب» محافظاً على موقعه بين الجماهير، ومسيطراً على العمل الفدائي، كونه من أكبر التنظيمات، وله مد جماهيري في الوطن العربي وفلسطين.

وقد أعلنت حركة القوميين العرب عن تشكيل تنظيم فدائي جديد في تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٦٦م أطلق على نفسه (منظمة أبطال العودة) وقد جاء هذا الإعلان على شكل البلاغ رقم (١) للمنظمة الجديدة، تحدثت فيه عن أولى عملياتها داخل الأراضي المحتلة، وعن استشهاد ثلاثة من أعضائها، وهم: رفيق عساف، ومحمد اليماني، وسعيد العبد[2]. ووقوع رابع في الأسر، وهو المناضل سكران محمود سكران وذلك في ١٩ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦٦م، ولم يتضمن البلاغ أية إشارة إلى ظروف تكوين المنظمة الجديدة أو اتجاهاته[3].

---

(١) انظر إبراهيم ابراش: الحركة القومية العربية واستقلالية العمل الفلسطيني، شؤون فلسطينية (نيقوسيا)، تشرين الثاني- كانون الأول ١٩٨٦، العدد ١٦٤: ١٦٥، ص٣٢.

(٢) مقابلة شخصية للباحث مع هاني الهندي، في ٢٠ مايو ٢٠٠٢، في منزله بالقاهرة.

(٣) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٦م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٩، ص١١٩.

كما أعلنت «حركة القوميين العرب» في منتصف عام ١٩٦٧م وقبل حرب يونيو/ حزيران بأيام قليلة عن تشكيل تنظيم جديد تابع لها، أطلق عليه اسم (منظمة شباب الثأر)، وذلك في بيان أصدرته المنظمة في آيار/ مايو ١٩٦٧م، وقد كان هذا القرار بمثابة الخطوة الأولى نحو إنشاء« الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»[١].

وقد أكد البيان على استمرار الحركة في المضي في العمل الفدائي، الذي يجب أن يكون منسقاً مع العمل الثوري العربي، ومهماته جزء من المخطط الشامل لمعركة التحرير، وأن الدور الفلسطيني يمهد الدور العربي الكامل، ويساعده لاسترداد فلسطين[٢].

أما البيان الثاني والذي أصدرته الحركة في ٢٨ أيار/ مايو١٩٦٧، فقد أعلنت فيه عن أولى عملياتها العسكرية في عمق الأراضي المحتلة[٣].

وكان التجاوب الذي لقيه العمل الفدائي في صفوف «حركة القوميين العرب» منصباً على العناصر الفلسطينية في الحركة، وهو الأمر الذي لم يلقَ قبولاً بين أعضاء الحركة، وخصوصاً التيار الماركسي، الذي دعا إلى تأجيل تنفيذ العمليات العسكرية ضد إسرائيل[٤]. واتهم العناصر الفلسطينية بالبرجوازية واليمينية، واعتبر أن بقاء الفرع الفلسطيني في الحركة بعيداً عن التفاعل مع التحولات التقدمية التي شهدتها الحركة تحت قيادة البرجوازية الصغيرة، أسهم في وقوعه تحت الهيمنة الكاملة للقيادة

(١) غازي ربايعة: القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، دار الكرمل للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ١٩٨٧م، ص١٣٢.

(٢) منظمة شباب الثأر : البيان رقم (١) ، الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٩م، ص٢٠.

(٣) المصدر نفسه: البيان رقم (٢)، ص٢٦١.

(٤) يزيد صايغ: رفض الهزيمة...، مرجع سبق ذكره، ص١٦.

التقليدية اليمينية المؤسسة للحركة[1].

وأسهم ضغط الأعضاء الفلسطينيين في زيادة حدة التوترات التي ظهرت داخل حركة القوميين العرب منذ أواسط سنة ١٩٦٢م، عندما بدأ محسن إبراهيم، ومحمد كشلي، ونايف حواتمة يشككون في الأساس الذي استندت إليه قوميتهم العربية من خلال قولهم: « إن البنى الاجتماعية والاقتصادية هي العوامل المحددة لتقدم المجتمع العربي»[2]، وطالب حواتمة بتأجيل تنفيذ العمليات العسكرية للحركة وكانت حجته أن حركة القوميين العرب من الخطأ أن تتصرف باستقلالية عن جبهة الدول العربية الأوسع[3].

أما بالنسبة للوحدة الأيديولوجية في إطار الحركة فقد بدأت تتراجع في منتصف الستينيات، حيث بدأ الصراع يظهر بين الأجيال الشابة الأكثر يسارية والجيل المؤسس للحركة، وقد تأكد هذا الصراع في المؤتمر القومي الذي عقدته الحركة في بيروت عام ١٩٦٤م[4]. حيث استطاع الجناح الأكثر يسارية عام ١٩٦٦م أن يطبع الحركة برؤيته، وتم تبني الاشتراكية العلمية الماركسية طريقاً لحركة القوميين العرب، إلا أن الصراع بين الطرفين تفاقم لاحقاً، وهدد الوحدة التنظيمية للحركة [5].

وكان لا بد لهذا الخلاف الفكري أن يحسم تنظيمياً، وذلك بانتهاء حركة القوميين كحركة ثورية في الأقطار التي عملت فيها. أما الفروع القطرية فلم تنته، فحركة القوميين العرب لم تعد قائمة كحركة مركزية، وتنظيم مركزي. في مختلف

(١) ابراش: الحركة القومية العربية، مرجع سبق ذكره، ص١٦٩.
(٢) يزيد الصايغ: الكفاح المسلح والبحث عن دولة: مرجع سبق ذكره، ص١٤٣.
(٣) يزيد الصايغ: رفض الهزيمة ...، مرجع سبق ذكره، ص١٦.
(٤) كوبان: مرجع سبق ذكره، ص٢٢١.
(٥) تيم: مرجع سبق ذكره، ص٣٥٩.

أجزاء الوطن العربي، بل تحولت إلى حركات ثورية موجودة قطرياً بأفق قومي، وقد أصبحت تشكل قوة أساسية من الحركة الوطنية في بعض الساحات العربية، فعلى سبيل المثال فإن فرع الحركة في اليمن الديمقراطي أسهم بقوة في تأسيس «الجبهة القومية» وفي اليمن الشمالي أصبح فرع الحركة يعمل باسم «الحزب الديمقراطي»، وفي الكويت أصبح فرع الحركة عبارة عن مجموعة من الشبان الديمقراطيين، وعلى رأسهم الدكتور أحمد الخطيب أحد أفراد القيادة المؤسسة لحركة القوميين العرب، وفي الخليج أصبحت الجبهة الشعبية لتحرير الخليج «هي البديل لحركة القوميين العرب، وأصبح لها فروع في معظم مناطق الخليج، وفي لبنان أفرز فرع الحركة ما يسمى منظمة العمل الشيوعي»، وفي الساحة الفلسطينية انتهى فرع حركة القوميين العرب إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين[1].

◆◆◆

(١) مطر: حيكم الثورة ، مرجع سبق ذكره، ص٨٢. وانظر كذلك: حوائمة يتحدث، مرجع سبق ذكره، ص٥٢.